التقنيات الزّمانيّة في أدبِ الزيارة الأربعينيّة رواية (شمعة) للكاتبة مروة محمد كاظم اختيارًا

دراسة في البناء السردي_

م. م زهراء سالم جبار

جامعة بابل / كلية الآداب

qwsalsema6@gmail.com

الملخص

يمثّل الزّمن أحد عناصر البنية السرديّة التي يقوم عليها النّص الرّوائي إلى جانب الشخصيّة والحدث والمكان، إلا أنَّه في هذه الرواية التي جاءت لتجسيد صورة حيّة لما تعرّض له زائرو أربعينيّة الإمام الحسين ﷺ آنذاك من الظلم والتنكيل والقتل، بوصفه مهيمنًا على نحو واضح على جميع عناصر بنية الرواية؛ لذا جاءت هذه الدراسة لتحليل بنية الزّمن وبيان هيمنته على بقيّة العناصر الأخرى في البنيّة السردية

الكلمات المفتاحية : التقنيات الزمانية،زيارة الأربعين، الرواية

Abstract

Time represents one of the elements of the narrative structure on which the novelist text is based, along with personality, event, and place. However, in this narration, which came to embody a vivid picture of the injustice, abuse and murder that the visitors of Imam Hussein (peace be upon him) were subjected to at the time, as he clearly dominates all the elements structure of the novel; Therefore, this study came to analyze the structure of time and to show its dominance over the rest of the other elements in the narrative structure.

Keywords: Temporal Techniques, Arbaeen Pilgrimage, Novel

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الاول , السنة الاولى , الملحق (٢)

المقدّمة

الحمد لله الذي لولاه ما جرى قلم، ولا تكلّم لسان، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد النبي الأمين، الذي هدى به العرب والعجم، أفصح الناس لسانًا، وأوضحهم بياناً، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

و يشكّل الزمن عنصرًا جوهريًا من عناصر البنيّة السردية للنّص الروائي إلى جانب العناصر الأخرى، من مكان وشخصيات وأحداث؛ بل يعدُّ العنصر المائز للشكل الروائي عن سائر أشكال السرد حتى عدّت الرواية فنًّا زمانيًا تتجسد فيه الصنعة الإبداعيّة عن طريق آلية التعامل مع تقنيات توزيع الأحداث المرتبطة بزمانها لتشكّل مبناها الروائي الذي ولدت منه، والأحداث التي تجسّد صورة حيّة لما تعرّض له زائرو أربعينيّة الإمام الحسين ﷺ آنذاك من الظلم والتنكيل والقتل، وانسياقًا من هذا جاء البحث الموسوم بـ((التقنيات الزّمانيّة في أدب الزيارة الأربعينيّة رواية (شمعة) للكاتبة مروة محمد كاظم اختيارًا –دراسة في البناء السردي)) لتصوير البنى السردية عبر تقنيّة الزمان؛ بوصفه عنصرًا من عناصر البناء السردي، مجسّدةً بظاهرة التذبذب الزّمني الحاصل في تسلسل عرض الأحداث، وما يترتب على ذلك من مفارقة زمنيّة بين الماضي والحاضر والمستقبل، متمثّلة بتقنيّة (الاسترجاع والاستباق)، والذي تضمّن مقدّمة وتمهيد ومحبثين، تناولتُ في التمهيد « سيرة الكاتبة مروة محمد كاظم» بينما مثّل المبحث الأوّل» مفهوم الزّمن» في حين تناولتُ في المبحث الثاني» تقنيات الزّمان»، وختمت البحث بالنتائج التي توصلت إليها، معتمدة في ذلك كلّه على عدد من المصادر والمراجع التي ذكرتُها في مظانهِ.

تمهيد

سيرة الكاتبة مروة محمد كاظم (مقابلة شخصية: ٢٤/٧/٢٠٢٢م)

ولدت الكاتبة مروة محمد كاظم في ١/٩/١٩٩٣م في مدينة الحلة الفيحاء في جو متنوع ثقافيًّا مما أسهم في تشكيل هذه الشخصيّة الزاخرة معرفيًا بالكتابة، كانت أوّل بواعث انطلاق الكتابة في عالمها الذي بدت ملامحه منذ إن كانت في سن الخامسة عشرة، لكنّ البداية الحقيقية في سن العشرين عندما التحقت بقسم اللّغة العربيّة في كلية التربية للعلوم الإنسانيّة في جامعة بابل، وكان لالتحاقها في هذا القسم المبارك دور كبير في صقل موهبتها الكتابيّة وتطورها ممّا دفعها لحبّ القراءة والاطلاع على الموروثات الشعريّة والأدبيّة، وقد انمازت الكاتبة بالتّنوع الإبداعي ما بين الكتابة في الشعر الفصيح العمودي، والشعر الحر، وفي فضائل أهل البيت عليهم السلام، وأيضًا في مجلات كتابية نثرية أخرى في المقالات، والرواية، والقصص القصيرة نشرت منها في المواقع الإلكترونية منها موقع كتابات في الميزان، ومجلة رياض الزهراء عليها السلام وصدى الروضتين التابعتين للعتبة العباسية، ومجلة نسيم الجنان التابعة للعتبة الرضوية المقدسة.

مؤلفاتها

١. رواية (ستلتقي به) عن دار القارئ في بيروت بإشراف مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة في النجف الأشرف.

٢. كتاب لغوي بعنوان «الفروق اللغوية في كتاب التحقيق في كلمات القرآن الكريم للعلامة حسن المصطفوي(١٤٢٦ هجرية)» عن دار القارئ في بيروت بإشراف مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة في النجف الأشرف.

٣. رواية (شمعة) مطبوعة، صدرت لصالح مركز الحوراء زينب عليها السلام عن دار الوارث التابع للعتبة الحسينية.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الاول , السنة الاولى , الملحق (٢)

المبحث الأوّل
(مفهوم الزّمن)

توطئة

الزّمن هو المقولة الّتي شغلت فكر الإنسان، وحظيَ باهتمام العلماء والأدباء، لما له من علاقة بالحياة والكون والإنسان، فيه يتشكّل الوجود والعدم، والموت والحيّاة، والحركة والثّبات، والحضور والغياب، والزّوال والدّيمومة، والتّحول والتّغيير بين الماضي والحاضر والمستقبل (مرتاض، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٩٩)، وحاولوا البحث عن ماهيته وذلك لتشعُّب دلالته، إذ تعدّدت مفاهيمه واختلفت وتباينت حتّى صعب الإمساك به، فهو يمثّل عنصراً أساسيّاً من العناصر الّتي يقوم عليها الفنُّ القصصي فما مفهوم الزّمن؟

أوّلاً: الزّمن لغةً

يعدُّ الزّمن من العناصر الأساسيّة في العمل الأدبي، وهو من أكثر المصطلحات الّتي اهتمّت بها كتب التّراث والمعاجم، ولقد وردت مادّة (ز. م. ن) في الصّحاح بقوله: ((الزّمنُ والزمانُ اسمٌ لقليلِ الوقتِ وكثيرِهِ ويجمعُ على أزمانٍ وأزمنة وأزمن ومن لقتيه ذات الزمين تريدُ به تراخي الوقت كما يقال لقيته ذات العويم أي بن الأعوام)). (الجوهري، ٥/ ٥٦٢، ابن دريد، ص١٩)

وعرّفه ابن فارس بقوله: ((الزاي والميم والنون أصلٌ واحد يدلُّ على وقت من الوقت من ذلك الزَّمان، وهو الحين، قليله وكثيره، يقال زمان وزمن والجمع أزمان، وأزمنة)). (هَارُون، ط١،٧/ ٢١، الفيروزآبادي، ط٨، ص١٢٠٣)

كما لم يختلف ابن منظور عن المعنى السّابق: ((الزّمن والزّمان: اسم لقيل الوقت وكثيره، وفي حكم الزّمن والزّمان العصر، والجمع أزمن وأزمان وأزمنة، وزمن وأزمن الشيء، طال عليه الزّمان، والاسم من ذلك الزّمن والزّمنة، وأزمن بالمكان أقم به زمانًا والزَّمان يقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدّة ولاية الرّجل وما أشبهه)). (ابن منظور، ٧/ ٣٦)

نلحظ أنَّ هذه التّعريفات اللُّغوية في مجملها تحمل المعاني نفسها الّتي تشير إلى أنَّ الزَّمن يقع على جميع الأوقات فمفهوم الزَّمن واحد عند علماء اللُّغة، وهو اسم لقليل الوقت أو كثيره وإن اختلفت الألفاظ الدّالة على ذلك؛ فالزَّمن بصفة عامّة يدلُّ على الدّيمومة والبقاء، وهو في الوقت نفسه مطلق غير محدّد.

ثانياً: الزَّمن في الاصطلاح

لقد شغل الزّمن فكر الإنسان فراحَ يتناوله بالدّرس محاولاً استيعاب ومعرفة ماهيته، فكانت للفلسفة الأولويّة في تناول مقولة الزّمن ضمن انشغالاتها، فاندفع الفلاسفة يقودهم العقل إلى التّأمل في شتّى تجلياتها اليوميّة والكونية وغيرها من التّجليات. (حبيلة، ص ٣٩)

واهتمّت الدّراسات بالزمن في جميع العلوم على اختلاف مناهجها وموضوعاتها وأولته العنايّة البالغة؛ لأنَّه يشكّل إطار كلّ حياة، وحيّز كل فعل وكل حركة، بل ويعدُّ الإطار الحافظ لكلّ الموجودات، ويقول مندولاً عن الزمن ((إنَّ الزمن لا يمكن وصفه، بمعنى من المعاني مطلقا، أي أنَّه لا يمكن تفسيره أو تعريفه بمصطلحات أساسيَّة؛ لأنَّه هو نفسه أحد الوجوه الأوليّة الّتي لا يمكن اختزالها...، وبالعكس يمكن وصفه نسبيّاً، أي إنَّ له قيمة معرفيّة فقط عندما ينسب إلى ظواهر محسوسة)). (عبّاس، ١٩٩٧م، ص١٦٩)

ويرى (عبد الصّمد زايد) على أنَّ الزمن ((تلك المادة المعنويّة المجرّدة الّتي يشكّل منها إطار كلّ حياة وحيّز كل فعل وكل حركة، والحق أنَّها ليست مجرّد إطار، بل أنَّها لبعض لا يتجزأ من كلّ الموجودات وكلّ وجوه حركتها وظاهر سلوكها)). (فارس، ١٩٨٨م، ص٧)

وتطرَّق (سعيد يقطين) في أحّد كتبه إلى أنَّ عنصر الزّمن هو ((مفهوم له تقسيماته في التصوّر النّقدي في محاولة الوصول إلى رؤية نظريّة وتطبيقية في دراسة الزّمن الرّوائي في النّص العربي)). (يقطين، ص ٨٩)

أمّا مها (حسن القصراوي) فلها رؤية خاصّة لمفهوم الزّمن فهو:((الأكثر ميوعة في تحديده والكشف عن ماهيته، بوصفه حقيقة مجرّدة لا تدركها الصّورة صريحة، ولكنّنا ندركها في الأحياء والأشياء، فالزّمن روح الوجود الحقّة ونسيجها الدّاخلي، فهو ماثل فبدأ بحركته اللامرئيّة ،إذ يكون ماضياً، أو حاضراً، أو مستقبلاً، فهذه أزمنة بعيدة يعيشها الإنسان وتشكّل وجوده، فضلاً عن أنَّ الزمن خارجي أزلي لا نهائي يعمل عمله في الكون والمخلوقات ويمارس فعله على من حوله والزمان موجود لأنَّ هناك نشاطاً ما وفعلاً خالقاً وعبوداً مستمرَّاً من العدم إلى الوجود)) (القصراوي، ط١، ٢٠٠٤م:١٣-١٤)، لذلك فإنَّ الكشف عن ماهية أي زمن حقيقة مجرّدة لا ندركها بصورة صحيحة، ولكنّنا ندركها في الأحياء والأشياء ومنه الزّمن.

وعلى ضوء ما تقدَّم نخلص إلى نتيجة مفادها أن لكلّ عمل نمطه الزّمني الخاص، بوصف الزمن محور البنية السّردية، وجوهر تشكّلها ولهذا لا يمكن، الاستغناء عنه بوصفه عنصراً مهماً في البناء السّردي. (صالح، ط١، ٢٠٠٥م: ١٨)

ثالثاً: أهميّة الزّمن:

للزمن فاعلية كبيرة في النّص السّردي فهو أحّد الرّكائز الأسس الّتي تستند إليها العملية السّردية، فدراسة الزّمن في النّص السّردي هي الّتي تكشف عن القرائن الّتي يمكن من خلالها الوقوف على كيفيّة اشتغال الزمن في العمل القصصي (بحراوي:١١٣)، فالزمن هو الّذي يجمع العناصر السّردية كلّها، ولا يمكن أن يكتب أي نص قصصي من دونه إذ إنَّ الإشارات الزمنية المبثوثة في أي نص سردي تشترك وتتفاعل مع العناصر السّردية جميعها، مؤثّراً فيها ومنعكساً عليها (السّعدي، ٢٠١٠م: ١٨-١٩)، فالزمن حقيقة مجرّدة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى. (قاسم، ط١، ٢٠٠٤م: ٢٧)

وإنَّ وجود الزمن في السّرد حتمي إذ لا يوجد سرد من دون زمن، وهذه الحتميّة هي الّتي تجعل من الزمن سابقاً منطقيّاً على السّرد، إذ إنَّه بالإمكان رواية قصّة من دون تحديد المكان الّذي تدور فيه الأحداث واستحالة إهمال العنصر الزَّمني في القص السّردي والّذي تنتظم بوساطته العمليّة السّردية (بحراوي، ط١، ١٩٩٠م: ١١٧)، ويعود هذا الاهتمام الكبير بالزمن إلى مقولة أساسية هي أنَّ الأدب القصصي عموماً مردّها إلى إشكاليّة زمنية. (عبد العزيز، ١٩٧٠م:١٥)

المبحث الثاني
تقنيّات الزّمن

أوّلاً: الاسترجاع

تقنيّة زمنيّة يتّكئ عليها السّرد، إذ يتوقّف الرّاوي عن متابعة الأحداث الواقعة في حاضر السّرد؛ ليتذكّر أحداثاً وقعت قبل ذلك، فهي ((ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة الّتي نحن فيها من القصّة)). (جنيت، ط٢، ١٩٩٧م: ٤٦؛ أبو طالب، ط١، ٢٠١٧م: ٤٩)

ويعدُّ الاسترجاع من أكثر الحركات الزمنية حضوراً في النَّص القصصي، وفيه يعود الرّاوي إلى سرد بعض الأحداث الماضيّة بعد أن يتوقّف السّرد عند نقطة معيّنة (الشويلي، ٢٠٠٠م:٦٥)، لم تدخل في الإطار الزَّمني للمحكي الأول، فالماضي مغيّب لا يتسنى له الحضور الفاعل إلاّ عبر تقنيّة (الاسترجاع)* الّذي يعمل على تكسير الزمن الطبيعي للأحداث، وخلق زمن خاص بالعمل وهو ما يسمّى بالزمن السّردي والّذي يسهم المتلقي في سدّ ثغراته وملئها عن طريق الاسترجاع، وبذلك يعدّ الاسترجاع تقنيّة زمنيّة الّتي تعني استعادة أحداث سابقة للحظة (برنس، ط١، ٢٠٠٣م:٢٥؛ الصالح، ٢٠٠١م:١٩٦).

ويقول حسن بحراوي: ((إنَّ كلّ عودة للماضي تشكّل، بالنّسبة للسّرد، استذكاراً يقوم به لماضيه الخاص، ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة الّتي وصلتها القصّة)). (بنيّة الشّكل الرّوائي، ١٢١)

أمَّا وظيفته فهي تسليط الضّوء على ما فات، أو غمض من حياة الشّخصية في

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الاول , السنة الاولى , الملحق (٢)

الماضي، أو ما وقع لها من خلال غيابها عن السّرد.

أمّا استرجاع الماضي واستمراريته فلا يخضع إلى ترتيب منطقي وفق أحداث الماضي، بل يتمّ عبر اختيارات تتماهى، أو تتوازى وتتطابق مع اللّحظات الرّاهنة لخط السّرد فنرى أنَّه يمثّل جسراً متيناً في التّوظيف، أو الكشف عن أحداث حاضرة، وهذه المفارقة تعدُّ نواة الأحداث المقبلة الّتي ستحصل وبيان ملامح النّفسية للشّخصيات. (مفلح، ٢٠١١م:٦٢)

وتمثّل الذّاكرة الوسيلة أو الأداة الملاصقة للاسترجاع، لأنَّ الذّاكرة كما يقول تودروف ((تعمل ضد الوقت)) (كلوفيو، ١٩٢١م:١٠)، أي هي نوع من الوعي يكون فيها الانسلاخ عن الحاضر ليعود إلى الماضي ويتحوّل إلى وعي هذا الماضي(كلوفيو، ١٩٢١م:١٠)،ينقسم الاسترجاع على أنماط:

١-الاسترجاع الخارجي:

هو الاسترجاع الّذي يعود فيه الرّاوي إلى ما قبل بدايّة القصّ داخل النّص إذ تتمَّ العودة بالأحداث إلى نقطة سابقة للنقطة الّتي ابتدأ عندها السّرد داخل بنية النّص، فيكون ذلك سرداً خارجيّاً، كثيراً ما يأتي ليحفظ للسّرد انسجامه وتماسكه الفنيّ، وذلك بسدّ الثّغرات وتسليط الضوء على الفراغات والمساحات المعتمة في السّرد السّابق للحظة «الآن» الّتي قد تنشئ أسئلة تفكك فهم المتلقي فيأتي السّرد الخارجي؛ وكأنَّه أجوبة لتلك التّساؤلات (جنيت:٦١؛ قاسم: ٥٨)، وهو بذلك يمثّل ((الوقائع الماضية الّتي حدثت قبل بدء الحاضر السّردي إذ يستدعيها الرّاوي أثناء السّرد، وتعدّ زمنيّاً خارج الحقل الزّمني للأحداث السّردية الحاضرة في النّص)).

(شاكر؛ المرزوقي، ط١، ١٩٨٦م :٨٠؛ القصراوي، ط١، ٢٠٠٤م: ١٩٩)

ولإضاءة قابليّات الاسترجاع الخارجي تتّضح أنَّها أدّت فعلاً بارزاً من النّاحية الزمنية في استحضار ذكريات الماضي في أغلب الرواية على مستوى التراكمات الزّمنية أو الضيق بالزمن؛ لينتج عنها اتّساع دلالي في مستوى الزمن يحتاج إليه الكاتب لبث التّجربة الشّعرية، وهو أمر ندركه عند قراءة هذا النّص: ((كنّا نسير متنكرين نحملُ قلبًا قد هوى الحسين، وهل هذا ذنب؟! كان جدّي مستعدًا للتضحية بجزء آخر من أعضائه حتى ولو بقطع رأسه تيمّنًا بمعشوقه، أما أمي التي كسر ضلعها فهي الأخرى مستعدة للتضحية بكلّ شيء بعد أن فقدت أبي، أظنّها لا تهتم حتى لو تخلّت عني لأجل الحسين عليه السلام))(كاظم، ط١، ٢٠١٩م:١١)، لقد قامت تجربة الكاتبة باسترجاع ذاكرتها الروائيّة الّتي تقوم بفتح آفاق التوقع على ماضٍ في سياق نصها الروائي من أجل إعطاء الماضي صورة أنموذجية، فاعتماد الكاتبة على تقنية المفارقة عبر انساق التّحولات الزّمنية رصدت تطور روائيّة الزّمن ودلالته البنائية والسردية في النّص الروائي للكشف عن تحولات الزّمن وحركية الصور الّتي عضّدها إخلاصهم وحبّهم لسيّدهم الحسين عليه السلام، ومدى استعدادهم للتضحيّة بأنفسهم من أجله وهذا ما عبرت عنه مكنونات النّص، وعن طريق طبيعة مستوى المدى والسعة يتم التركيز في المدى الّذي تستغرقه المفارقة الزمنية باتّجاه الماضي، أو المستقبل عن طريق الجملة الفعلية بقولها» كنّا نسير متنكرين / نحملُ قلبًا قد هوى الحسين / كان جدّي مستعدًا للتضحية بجزء آخر من أعضائه / حتى لو تخلّت عني «، لتنهض الدوال النصية بتفسير دواخل الكاتبة ومشاعرها؛ ليغدو الحاضر لحظة تأمل لموقف ماضي سابق عليه عبر أنساق التّرابط الدّلالي لجملة « أظنّها لا تهتم «، الّذي نلتمس فيه تواصل زمني للأحداث الّتي تتشكّل زمنياً، فقد عملت المفارقة الزّمنية المتراكمة

زمنيّاً بين زمن الحاضر المؤلم وبين الماضي المليء بصور الحزن على إزالة الفوارق والّتي تشكّل شذرات النهاية بـ» حتى لو تخلّت عني لأجل الحسين ﷺ»، وتأتي قابليّة الأنساق والدوال الروائيّة ليضم تفعيل الاسترجاع الخارجي للأبعاد الزمنيّة التي رفدتها التجربة لزمن الظلم الذي مضى وتلاشى مع طي الذكريات ليحمل في طيّاته أبعادً تصويريّة مفارقة لزمن الحاضر في ((ركضَ وراءنا الظالمون المناوؤن للحسين وزائريه، فوقعتُ وأصيب أحد أضلعي، لقد قتلَ منا الكثير، وبعضنا نجا...، تذكرني بذلك الرجل العظيم)) (كاظم، ط١، ٢٠١٩م: ٨)، ففي النّص نجد أنَّ صورة الحاضر قد انزاحت عند الكاتبة في صورة مفارقة تتشكّل في استرجاع الذّكريات الّتي غذّت العملية الروائية ودلالتها النفسية المتجه نحو زمن الماضي لتحقيق عملية استرجاعية إذ ارتبطت بالزمن الماضي وتنحصر في» ركضَ وراءنا الظالمون المناوؤن / فوقعتُ وأصيب أحد أضلعي/ قتلَ منا الكثير « فالكاتبة حاورت لغة الزمن ، وبثَّت أحاسيسها فيها عند تحويل الزمن إلى زمن روائي باتّجاه تصاعدي حركي في قالب زمني موصوف بالروائيّة داخل النص الّذي رصد تطوّر روائية الزمن ودلالته السردية في النّص للكشف عن التّحولات الزمنية وحركية الصور الّتي انمازت عند الكاتبة بلغة تقريرية لتقريب صور الأحداث التي تعرضت لها شخصياتها، والخوف والقلق من الظالمين الذي كانوا يتربصون لهم طيلة هذه الرحلة العظيمة والظفر بهم إلى المتلقي والتأثير فيه والّتي عضّدتها وعبّرت عنها مكنونات النّص الحاضر بدلالة» تذكرني بذلك الرجل العظيم « ليغدو لحظة تأمل وانتظار لذلك الرجل العظيم لذي يكمن في مخيلتها ، وهي إشارة نصيّة لحالة الخرق الحاصل لمستوى الزمن للتجربة الروائية والّتي تخلق نوعًا من التناظر في الدّلالة الزمنية؛ لتؤدي هذه التراكمات الزمنية صورة مغايرة تنفرد عمّا هو متوقع دلالياً، وتشكّل اتساعاً زمنياً

لاسترجاع الذّاكرة الروائية والّتي تقوم بفتح آفاق التوقع على المستقبل في عمّا هو متوقع دلالياً، إذ استدعت الزمن الماضي في صيرورة أحداث حالية التي لها دلالة واسعة في السياق الروائي في((أتى الفجر حتى وقفنا كلّنا صفوفا للصلاة، أخذ السيّد يصلي بنا صلاة الفجر جماعة، إذ تقدّمت صفوف الرّجال على النساء ونحن الأطفال كنّا كنجوم صغيرة تتوسط هذه الصفوف بين أهالينا، كان أولّ نجم أفل منّا هو السيّد، إذ أتته رصاصة من المقدّمة في جبينه، ثمّ تهاوت النجوم وسقطت من بعده في حجر الأرض، كلّهم رحلوا ولم يبقَ غير نجمي الذي أفلت روحه معهم، نجوتُ من الرّصاص)) (كاظم، ط١، ٢٠١٩م:١٢-١٣)، شكّلت البنية النّصية مفارقة زمنية من خلال إيهام المتلقي، وخداعه لاعتقاده أنَّ قوله « يصلي بنا صلاة الفجر جماعة، وينجلي مسرح الأحداث عن شخصيّة ستكون في زمن الحاضر في حين أنَّ بنية النّص تنصهر عبر كسر أفق التوقع المنوط بأنساق التواصل اللفظي للألفاظ لتكون دلالتها مضادة زمنيًا، بعد أن ترتكز في معطيّات الماضي التي توسّعت في إضفاء الدّلالة وانحصرت في « أتى الفجر / وقفنا كلّنا صفوفا للصلاة أخذ السيّد / كان أولّ نجم أفل منّا هو السيّد / كنّا كنجوم صغيرة/ تهاوت النجوم وسقطت من بعده/ نجوتُ من الرّصاص «، في حين نجد معطيّات الحاضر تمركّزت في « يصلي بنا/ أتته رصاصة من المقدّمة في جبينه/ تتوسط هذه الصفوف « فتبدو فاعلية الزمن الموضوعي للتّجربة قد ألقيت قيود المسؤولية على زمن الحاضر عبر مفارقة دلالتها التّصويرية؛ لتقوم بنية النّص بأنساقها الفعلية للجمل الإسمية على خلق حالة من التّوتر الحاد والخوف عبر مفارقة زمنيّة بين بنية الزمن الماضي والحاضر والماضي في بنية الجمل الإسمية الراسخة في قوله» صلاة الفجر جماعة / ونحن الأطفال / من المقدّمة في جبينه «، وبنيّة الجمل الفعليّة الّتي تشدُّ حالة التوتر والتّغير الحاصل

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الاول , السنة الاولى , الملحق (٢)

للإشارة غلى معطيات الزمن الحاضر لتحقيق عملية موازنة نفسية استرجاعية لحادثة قتلهم في قولها» رحلوا ولم يبقَ غير نجمي، تهاوت النجوم وسقطت من بعده»، في إشارة نصيّة لحالة الخرق الحاصل لمستوى الزمن وتقدّمه بصورة متوازية الّتي تخلق نوع من التناظر في الدّلالة الزمنية للتّجربة الروائية، ونرصد التراكمات الزمنيّة أيضًا عبر اتساع الزمن المسترجع في دلالة ((ابتعدَ الظالمون وخلّفوا في إثرهم مظلومة يتيمة مثلي، لا تعرف ماذا تفعل سوى الركض بعيدًا)) (كاظم، ط١، ٢٠١٩م: ١٣)، نلحظ أنَّ استرجاع الذكريات بدأ يرسمُ لوحة الحرمان في نفسيّة الكاتبة وذاكرتها الروائية، ولا سيّما أنَّ لونيّة الحرمان والإحساس بها امر بلغَ محك الإحباط والانغلاق النفسي على ذاتها والذي تجلّى في الدوال النصية عبر أطر التشكيل الصوتي المتداخل لحالة الخوف والهلع المتمثلة في «لا تعرف ماذا تفعل سوى الركض بعيدًا»، والصدمة التي تشكل بداية لمستوى الزمن المفارق بدلالة» وخلّفوا في إثرهم مظلومة يتيمة مثلي» ، فانتشار هذه الدوال الصوتيّة المطلقة ساعد على استيعاب التجربة الروائية لدى الكاتبة وشمولها للبعد الإنساني والكوني للتسليم بحالة القضاء والقدر، وما يصاحبها من حالات البكاء والصدمة لمن يفقد عزيزًا عليه، فالصدمة شكّلت فجوة متداخلة في عدم تصديقها بموت من معها.

٢-الاسترجاع الدّاخلي:

يختّص هذا النُّوع باستعانته بأحداث ماضية، ولكنّها لاحقة لزمن بدء الحاضر السّردي وتقع في محيطه(المرزوقي-شاكر:٨٠؛ القصراوي:١٩٩)، وهو بذلك ((يعود إلى ماضٍ لاحق لبداية الحدث قد تأخّر تقديمه في النّص)) (النعيمي، ط١، ٢٠٠٤م: ٣٤؛ المرزوقي-شاكر:٨٠؛ القصراوي:١٩٩)، ويعرّفه جيرار بأنَّ((حقله

الزمني متضمن في الحقل الزمني للحكاية الأولى بعبارة أوضح هو استعادة أحداث وقعت ضمن زمن الحكاية أي بعد بدايتها)) (عاشور، ٢٠١٠م: ١٨)، وتجلّى هذا النّوع من الاسترجاع في قولها:((سمعتُ السيّد يقول: «اختبؤوا» فأختبأنا جيدًا حتى زال الخطر، ثمّ تابعنا المسير، نمشي تحت ضوء القمر الذي سخره الله لنا هذه الليلة، لا بيت يأوينا كأنّنا غرباء لا نعرفُ ملاذًا إلا الحسين(عليه السلام))(كاظم:١٢)، لقد قامت التّجربة الروائيّة للكاتبة باسترجاع الذّاكرة الإنسانيّة الّتي تقوم بفتح آفاق التّوقع على الماضي، فاعتماد الكاتبة على تقنيّة الاسترجاع الّتي رصدت تطوّر روائية الزّمن ودلالته البنائيّة والسّردية في النّص الروائي للكشف عن تحوّلات الزمن في مكوّنات النّص لتعكس حالة الخطر المتجه بهم نحو الموت بدلالة « سمعتُ السيّد يقول(اختبؤوا)/ ، فالكاتبة تحاور الزمن في نصها بدلالة « نمشي تحت ضوء القمر الذي سخره الله / لا نعرفُ ملاذًا إلا الحسين(عليه السلام)»؛ ليغدو الحاضر لحظة تأمل وحياة وإصرار لموقف ماضي سابق عليه عبر أنساق التّرابط الدّلالي لجملة» لا نعرفُ ملاذًا إلا الحسين(عليه السلام)» الّذي نلتمس فيه تواصل زمني للأحداث، والّتي تشكّل زمنياً في سياقات الدّوال النصية، وتنصهر فيه عبر كسر أفق التوقع المنوط بأنساق التواصل اللّفظي للدّوال النصية لتكون دلالتها مضادة زمنياً، بعد أن تركز في معطيات الماضي وتتسع دلالتها في الماضي بالارتكاز الدّلالي في دوال الأفعال الّتي تنعكس فيها بنية النّص على بنيّة المفارقة وتطوراتها الّتي توهم المتلقي وتوجهه توجهاً مخادعاً لاعتقاده أنَّ الأفعال» زال الخطر / تابعنا المسير» تقع دلالتها في الزمن الحاضر، فعملت المفارقة الزمنية على إزالة الفوارق والّتي رسمتها النّهاية بدلالة» لا نعرفُ ملاذًا إلا الحسين(عليه السلام)»، الذي يوقفه الزمن لتشكيل صورة واقعية مأخوذة من الواقع بدلالة

((رأيتُ رجلاً ضخمًا يرتدي زيًّا عسكريًا أرعبني منظره وهو يحملُ السلاح، قلّبَ جثة أمي الهامدة، فوجدني أرتعشُ خوفًا كأفراخ الطيور الزاغبة الحشا، على الرغم من ضخامته لا أعرف لماذا تركني وشأني)) (كاظم: ١٣)،فاسترجاع الذّكريات في هذا الوضع بدأ يعطي لنا صورة لمشاهد الألم والرعب في دواخل الكاتبة وذاكرتها الروائية المؤلمة، ولا سيّما أنَّ القارئ يعلم أنّ(الأم) ومن معها قد قضوا نحبهم، ومغادرة الظالمين ذلك المكان، لكنَّ الكاتبة عمدت إلى إضفاء أضواء جديدة على مشهد المغادرة، عن طريق المقطع الاسترجاعي الذي صورت عن طريقه ذلك الرجل المعادي لهم وهو يقلّب جثة والدتها ليتأكد من إتمام عمله، بمغادرتها ومن معها الحياة، بدلالة « أرعبني منظره/ وهو يحملُ السلاح/ قلّبَ جثة أمي الهامدة/ فوجدني أرتعشُ خوفًا كأفراخ الطيور الزاغبة الحشا» إذ كان مسوّغ الاسترجاع الدّاخلي هو قصور الواقع عن الانفتاح على ذات الكاتبة الّتي قامت بكسر أفق التوقع لتنطوي الدلالة الزمنية على كسر أفق التوقّع ودلالته وذلك بترك السرد في زمن الحاضر والعودة به إلى زمن الماضي لضرورة فنية أو جمالية يتطلبها السياق النصي؛ لأنَّ وظيفته الوحيدة هي إكمال الحكاية عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك والتي تتمركز فيه بؤرة الصورة الزمانيّة في ((أرجعتُ ملابسي للسيّدة بتول وجلستُ بالقرب منها وهي تغسلُ بثياب الماضي علّها ترجعُ فيها روحها القديمة لتلائم حاضري ومستقبلي المجهول)) (كاظم: ١٥)، إذ نلحظ في هذا المقطع التحوّل الواضح من الزمن الخارجي إلى الزمن الداخلي، إذ عبّرت فيه الكاتبة عن حالتها النفسيّة المحبطة، وهي حالة الضياع التي تعشيها، وقد كسرت أفق توقع القارئ في دلالة الزمن بدلالة « لتلائم حاضري ومستقبلي المجهول» وهي دلالة التشتت والضياع والحزن، فهي تحولت إلى الزمن النفسي

والشعوري، وهو الزمن المؤلم، وعزّزت هذا التحول بتحول آخر في قولها: « وهي تغسلُ بثياب الماضي علّها ترجعُ فيها روحها القديمة»، إذ اعترفت بانقطاعها عن الزمن الطبيعي تأمّلاً وتفكيرًا، والتزامها بالزمن الداخلي النفسي، إذ الفقد والمصيبة، وقد تناسب هذا التحوّل دلاليًّا مع عتبة النص الروائي وهي دلالة الحرمان والضياع والتشتت، فالكاتبة في هذا التحوّل حققت الترابط الشعوري الفني بين البعدين الداخلي والخارجي، حتى شكّل ظاهرة مميّزة في نصها جعل من الزمن كاشفًا دقيقًا لكوامن نفسيتها.

٣-الاسترجاع المزجي:

وهو ما يجمع بين النّوعين (قاسم: ٥٨)، ومن صور الاسترجاع المزجي في نصها ((كانَ أحدُ الفلاحين يحملُ مسحاةً على كتفه قادمًا نحوي فأسرعتُ للاختباء خشيتُ أن يكون جاسوسًا لهم، فلم أعد أثق بأحد..ثمَّ رأيتُ بعض النسوة قد قدمنَ أيضًا منقبات يحملنَ مناجل في أيديهن ومعهن بعض أطفالهن يبدو أنَّهن فلاحات في هذه البساتين، لمحتني إحداهن، فنادت بصوتٍ عالٍ: مَن هناك؟! أخذت تركض ورائي حتى أمسكتني من يدي، ثمَّ بهتت ممّا رأته من منظري البائس... لقد عثرنا على طفلة بائسة الحال)) (كاظم:١٤)، نلمحُ أنّ النّص الروائي فيه تصريحًا بارزًا مكررًا لزمن الماضي والحاضر تتداعى فيه الصور التراكمية للأحداث والتي تشكّل مرتكزات أسس في تفعيل دلالة النّص عبر تفاعلها الإسنادي مع أنساق الجمل الفعليّة» كانَ/ يحملُ/ أسرعتُ/ يكون/ أثق/ رأيتُ/ يحملنَ/ لمحتني/ نادت/ بهتت/ أخذت/ تركض/ أمسكتني»، لكونها حدودًا تحتضن الزمن؛ إذ ترضخ الأوقات الزمنية إلى المعول النّفسي الهائم في نفسية الكاتبة وزمنها الموضوعي للتّجربة

«كانَ أحدُ الفلاحين» نسقاً علامياً يوائم سيرورة خاتمة الحدث الروائي بدلالة «لقد عثرنا على طفلة بائسة الحال»، بعد ممارسة نسق الجملة الفعلية سطوته في تجلي فاعليّة الزّمنية من الماضي» كان» إلى الحاضر في «يحملُ / أسرعتُ / يكون» ليوهم المتلقي بفاعلية دلالة زمن الماضي «كانَ» الّذي ينتج في دلالة التّغيير والمغايرة الضّدية الّتي توحي بالانقطاع والتّوقف الزّمني، وبين دلالة الحاضر « يحملُ / أسرعتُ / يكون»، الّتي تعكس الحركة الزمنية المستمرّة؛ ليغدو بها الحاضر لحظة كشف عن الأحداث التي تمرُّ بها تلك الشخصيّة وما يصاحبها من الألم والهلع، معتمدةً الكاتبة في ذلك على الانتقال من زمن إلى زمن آخر، فكانت المفارقة الزمنية المتراكمة زمنياً بين زمن الحاضر والماضي والّتي خلقت نوعاً من الامتزاج والتناظر في الدّلالات الزمنية ؛ لتشكّل هذه الامتزاجات اتساعاً زمنياً يُراد منها سد الفجوات الروائية واسترجاع الذاكرة الّتي تقوم برصد تطور روائية الزمن ودلالته البنائية والسردية في النص الروائي من الماضي إلى الحاضر بدلالة ((استغرب العم ممّا سمعه وذهلتُ معه، ما هذه الحياة التي تنتظرني هناك، ولمَ كلّ هذا الخوف عليّ؟! من أنا حتى أنال هذه الحظوة حتى يتكفلني رجل من أشراف أهل النجف الأشرف)) (كاظم: ١٧)، يتجلّى الاسترجاع المزجي في سيرورة الحدث فقد كان لصوت الكاتبة دور بارز في تدافع الدّوال الرّاسمة لصورة الألم والحزن التي تتجلى على محيّى تلك الطفلة المذهولة الغريبة التي تنتظر مصيرها الغامض المنطوي في أحضان أسطر تلك الرسالة التي أذهلت الجميع، والتي تنصهر في مفارقة تضفي أجواء التغريب الزّمني بعد ترحيله من الحاضر إلى الماضي والعودة به إلى الحاضر من جديد ارتسم ضمن مشهد حزين في رؤية الكاتبة الّتي أدركت رؤيتها له، وهو نلتمسه في جدليّة علاقات الحضور والغياب الّتي يدركها وعي المتلقي، فالكاتبة أدركت أهميّة الاسترجاع المزجي في

سيرورة الحدث لخلق منولوج قناعي، استعملته بجدارة لخلق نوع من الإيهام الروائي بأنّها تداخل الأحداث في زمن الماضي عبر أنساق دلالة الفعل الماضي «استغرب العم» والممازجة مع دوال الأفعال الزمنية «ذهلتُ معه/ أنالَ/ يتكفلني» في مفارقة فعليّة للزمن الحاضر؛ إذ يصبح الموقف غرائبيّاً بـ «ولمَ كلّ هذا الخوف عليّ؟! « بعد وعي المتلقي بأنَّ الخوف ما هو إلا ذات الكاتبة ومشاعرها وما يعتريها من الخارج من حركات وتصرفات أخذت على عاتقها سرد الأحداث على نحوٍ متناغم في أبنية الزمن الموضوعي الذي نلتمس فيه تواصل زمني للأحداث استرجاعًا لحادثة سابقة عن الحدث الذي يحكى بدلالة ((تمرُّ السويعات وتقف العجلات، ويصيح السائق، هيّا انزلوا رافقتكم السلامة... عندما نزلت من الحافلة رحلت بسرعة من تلك المحطّة، وأخذت أناس غيرنا لتوصلهم إلى محطتهم المبتغاة، عرفتُ أنّ الدنيا هكذا محطّات، ترجلنا نحو ضريح الإمام علي ﷺ، ثمّ دخلناه وقلبي يعتصرُ ألمًا وشوقًا، لا أعرف كيفَ أبدأ الكلام، فكأنّ الكلام قد تكوّر في فمي، لا أعرف كيف أبكي فقد نفد كل ما عندي ذلك اليوم، رميتُ بجثتي الصغيرة على الأرض، وكأنّ الأمير علي ﷺ قد آذن لدموعي بأن تنثال عليّ فجأة)) (كاظم: ١٧-١٨)، إنَّ هذه الأحداث تشكّل ميدانًا لتوالي الاسترجاعات المزجيّة، لكنّ الكاتبة ترويها بلغة الحاضر بدلالة الأفعال المضارعة «تمرُّ السويعات/ تقف العجلات/ يصيح السائق/ هيّا انزلوا/ أبدأ الكلام/ لا أعرف كيف أبكي/ تنال عليّ فجأة/ يعتصرُ ألمًا وشوقًا» وكأنّها تحدثُ الآن، وهكذا تنقل ذاكرة المتلقي إلى ذلك الزمن ليشعر بحضوره أمام عينه، فيرى القارئ توقف العجلة ومناداة السائق ليأمرهم بالنزول ومن ثمَّ التوجه إلى ضريح الإمام علي ﷺ بدلالة « ترجلنا نحو ضريح الإمام/ دخلناه/ تكوّر في فمي» لتشكيل صور التداعي الماضوي المتمثّل في ترجلهم نحو قبر الإمام علي ﷺ والدخول

إلى ضريحه، فالمقطع الأخير فيه شيء من الخروج من الأزمة النفسيّة الماضية عن طريق تحقق آنية الأحداث بدلالة « آذن لدموعي» فهي دعوة زمنية حاضرة للتخلص من جراحها والتي تتمثّل بدلالة « وقلبي يعتصرُ ألمًا وشوقًا»، إذ عملت تقنيّة الاسترجاع المزجي على تكسير خطيّة الزمن، واستعادة الماضي ومزجه بالحاضر لتوهم القارئ بأن الحدث الروائي يتّجه إلى الوراء، في حين أنّ الكتابة في الحقيقة خطيّة متقدّمة باتّجاهها على الورق إلى الامام

ثانيًا: الاستباق:

(جنيت:٨١؛ بحراوي: ١٣٢-١٣٦؛ عناني، ط٢، ٢٠٠٣م:٨؛ يوسف: ط١، ٢٠١٥م:٨١؛ قاسم: ٦١)

ورد هذا المصطلح في عدد من المؤلّفات النّقدية على أنَّه « اللاحقة»، ومنعاً من حدوث خلط في استعمالات النّقاد والرّوائيين، تجتهد الباحثة في تقريب دلالتها اللُّغوية، بما يخدم الموضوع على نحو واضح ومنظّم.

الاستباق في اللُّغة من الفعل ((سبق: السّبق: القدمة في الجري وفي كلّ شيء)) (ابن منظور،١٠/ ١٥٠)، وورد الاستباق في القرآن الكريم بمعانٍ متعدّدة أحدها((قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ (يوسف: ١٧) قال المفسّرون: معناه ننتضل في الرّمي، وقوله عزّوجل:﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(يوسف: ٢٥)، ومعناه: ابتدرا الباب يجتهد كلّ واحد منهما أن يسبق صاحبه...والمعنى الثّالث

في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ (يس:٦٦)، ومعناه :فجاوزا الصّراط وخلفوه)). (ابن منظور :١٠/ ١٥٠)

ويعدُّ الاستباق التّقنية الثّانية في المفارقات الزمنية (خطيبي، ٢٠١٨م: ٢٤) فهو دلالة على ((كلّ مقطع حكائي يروي أو يثير أحداثاً سابقة عن أوانها، أو يمكن توقّع حدوثها ويقضي هذا النّمط من السّرد بقلب نظام الأحداث عن طريق تقديم متواليات حكائيّة محل أخرى سابقة عليها في الحدوث أي القفز على فترة ما من زمن القصّة وتجاوز النّقطة الّتي وصل إليها الخطاب لإشراف مستقبل والتّطلع إلى ما سيحصل من مستجدّات)) (يوسف:٨١؛ المرزوقي :٧٦؛ برنس: ١٨٦)، ومعنى هذا أنَّ الاستباق هو عمليّة سرديّة تتمثّل في إيراد حدث آت والإشارة إليّه مسبقاً. (بحراوي،١٩٩٢م ص ١١٤)

ويعرَّفه تودوروف هو((سرد قبل وقوعه)) (بنسيس؛ هدى، ٢٠١١-٢٠١٢م: ٤٨)، والاستباق في السّرد يؤدي دوراً مهمّاً في أنَّه يضفي على النّص عنصراً تشويقيّاً لمعرفة ماذا سيحصل؟ واختبار للقارئ عن مدى ربطه لسير السرد ويكون الاستباق كمحطّة للغوص في عالم النّص، ومدى توافق الاستباق مع توقّع القارئ ويكون ذلك بإيراد رمزاً يخيل للقارئ في بدايته عبارة عن شيء طارئ، أو لا علاقة له ببنية الزمن (بحراوي: ١٣٢-١٣٣)، وقد أخضع جنيت الاستباق لتقسيم خاص بالاسترجاع وهي: استباق خارجي وداخلي ومزجي. (بو طيّب، ١٩٩٩م :١٥٧)

١-الاستباق الخارجي

وهو ((استشراف مستقبلي، يقع خارج الحدّ الزمني للمحكي الأوّل، إذ تقع

الاستباقيات الخارجيّة على مقربة من زمن السّرد أو الكتابة، أي خارج حدود الحقل الزمني للحكاية الأولى، وتكون وظيفتها ختاميّة في أغلب الأحيان بما أنَّها تصلح للدّفع بخط عمل ما إلى نهايته المنطقيّة)). (جنيت، ص٧٩؛ بو طيّب: ١٥٨)

ويمكننا قراءة الاستباقات في رواية شمعة أنَّها تكشف عن حاضر مفقود لا تستطيع الكاتبة أن تحققه إلا من خلال كسر الواقع والخروج بالزمن نحو آفاق المستقبل، وقد تمثَّل لك في قولها: ((كنتُ أؤمن بشت طرقها حين تدعو الله وأوليائه؛ لأنَّي أشعر بأنّ دعاءها حتمًا سيشقُّ جلباب السماء حين ترفع لله يديها وسيمطر عليها الله من سحابات رزقه الوافر... وأنا على خطاها دعوت الله في شفائها)) (كاظم، ص٩)، فقد شكّل الدعاء بؤرة النص كونه يحمل في طياته هاجسًا نفسيًا يتنافذ في مستويين الأول زمن المستقبل في دلالة « سيشقُّ/ وسيمطرُ» ، والآخر زمن الماضي بدلالة «كنتُ أؤمن بشت طرقها» ويساعده على التخفي المتتابع بصورة تكرار تراكمي متلاشٍ، في صورة منولوج صوتي يعلو لشدّة الألم والأمل والأسى النفسي الذي تمرُّ به الكاتبة بدلالة « دعوت الله في شفائها» لهدم وجع الماضي إلى روح الحاضر، فينتج هذا التنافذ الزمني مفارقة زمنية تتداخل صوتيًا مع الوجع النفسي بدلالة « كنتُ أؤمن بشت طرقها حين تدعو الله وأوليائه»، إذ تجتمع هذه الأنساق الفعلية لتشكيل دالة روائية تسهم في كسر أفق التوقع المرتكز بؤريًا في دالة صورية لانشقاق جلباب السماء من دعائها، لتبدأ عمليّة تراكم زمن متكرر يتمحور في بؤرة التقليد « وأنا على خطاها» التي أخذت على عاتق الكاتبة الاستمرار والصيرورة في فاعلية المستقبل في عملية التمثيل الصوري المتراكم لحالة استجابة الدعاء نتيجة حتمية لشفاء تلك الوالدة العليلة بدلالة « سيشقُّ جلباب السماء حين ترفع لله يديها وسيمطر عليها الله من سحابات رزقه الوافر»؛ ليصبح كل ذلك إجابة نهائية وعملية حتمية لما سيحدث

في المستقبل وهو الشفاء التام لتلك الوالدة المريضة؛ بوصفها علامة بارزة، تتداخل في كسر أفق التوقع لما سيؤول من الأحداث القادمة بدلالة ((كنّا نسير في البساتين والطرق الوعرة، كل هذا حتى نصل إلى الحسين، فجذوة العشق قد أصبحت تنورًا مشتعلاً في أفئدة عاشقيه ستحرقُ نفسها وتذوب كفراشةٍ أحرقت نفسها في فتيل الشمع المشتعل...)) (كاظم، ص١١)، نلحظ إنَّ البنية الزمنية لهذا النّص تنتمي زمنيّاً إلى ما سيؤول إليه الأمر بعد موقف الوصول إلى مبتغى العاشقين وهو رؤية زيارة إمامهم الحسين عليه السلام، وقد استعانت الكاتبة لذلك صيغة الفعل الماضي الّتي تمثّلت بـ« كنّا» الّتي أخذت تدخل في المكوّن النّصي ضمن دوال زمنية تجلّت فاعليتها في الفعل المضارع المقترن بالسين « ستحرقُ «، فكان النَّص بمثابة دعوة رؤيويّة مثّلت بداية الاستباق الموضوعي الّذي سجّل خاتمة نهائيّة للأحداث لكسر أفق التّوقع المحتوم في عمليّة القفز الزمني الفجائي إلى مستقبل مليء بالاشتياق والانتظار، بدلالة الأنساق الدّالة عليها «ستحرقُ»، فجاءت الدوال الزمنية داخل بنية القصيدة لإضاءة الزوايا الخفية من المستقبل من خلال التحكم بالأحداث؛ بوصفها وسيلة الكاتبة في الانتقال الزمني من خلال تتابع الأحداث وتكاملها وبغية الإعلان عن كل صورة مستقبلية آتية وهي تنتقل من حالة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر، كلّها تعزّز صورة الحاضر لأولئك العاشقين الذائبين كفراشات في عشق مولاهم الحسين عليه السلام إذ المفردات كلّها ذات دلالات نفسية وما الألفاظ والتراكيب ((إلا أبنية صوتيّة لفكرة الإنسان وشعوره)) (المجر، ط١، ٢٠١٥م، ص ٤٨؛ الحربي، عبيد، ٢٠١٩م، ص ٢٢٧)، وكأنّ الكاتبة أرادت من القارئ أن يتبعها من زاوية الماضي ((تغيّر لون وجهه فجأة وهو ينظر إليّ، وقال خذي هذه الورقة، ضعيها في جيبكِ ستحتاجينها)) (كاظم، ص١٢)، أفادت الكاتبة من حسن استعمال الشخصيّة القناعيّة التي أخذت على

عاتقها سرد الأحداث في زمن الحاضر بدلالة نسقيّة الفعل المضارع» ينظر» وعلاقاته مع بقيّة الدوال الفعلية « تغيّر لون وجهه/ ينظر إليّ/ قال خذي/ ضعيها» فالسرد يتمحور في الإطار الزماني المتأزم نتيجة لخوف والاضطراب من السلطة الحاكمة المناوئة للحسين ﷺ، فلم يبقَ سوى هذه الوقة وما تلبث الشخصية أن تعود وتسرد ما سيقع في المستقبل بدلالة كلام ذلك الرجل المؤمن الذي سلّمها إليها فعبارة « ستحتاجينها» مثّلت بداية الاستباق الزمني للأحداث الذي سينقلها إلى مستقبل آخ مليء بالحياة والحركة والفرج بعد كلّ هذه المعاناة التي هي في خضمها، وهكذا تبين لنا صراع الماضي والحاضر الذي تعيشه الكاتبة والذي يسوده الرعب والخوف وينتابه القلق من المستقبل المجهول.

٢-الاستباق الدّاخلي

إنَّ الاستباق الدّاخلي أكثر توظيفاً في النّصوص، مقارنة بالاستباق الخارجي، وذلك لكونه ((يقع داخل المدى الزَّمني المحكي الأوّل من دون أن يتجاوزه، كما أنَّه يعترض القّص كالاسترجاع الدّاخلي لخطر التّداخل والتّكرار بين الحكايّة الأولى والحكايّة الّتي يتولّاها المقطع الاستباقي)). (جنيت، ص٦٥)

تجلّى الاستباق الدّاخلي في الرواية في قول الكاتبة ((ماذا يفعل أطفال المسيح بن مريم بين هؤلاء؟ لم أستطع أن أنطق ببنت شفة، ثمّ اقترب مني وقال: اعلمي نفسك ميتة حتى تبزغ شمس الصباح، دموعي كانت تجري بلا انقطاع تفصح عن حزن عميق بل تفصح عن يتيمة ماتت منذ أن فقدت كل من حولها في هذا العالم المهيع كأنّه فضاء لا يجذب بعضه بعضا)) (كاظم، ص١٣)، نلحظ إنَّ اجتماع الأنساق الزمنية الروائية عبر علاقة الكاتبة بمن كان معها فهي تعيش في زمن الماضي

للوصول إلى صورة المستقبل بدلالة الفعل الماضي «كانت» فالسّرد يتمحور في الإطار الزمكاني المتأزم نتيجة الضياع والوحدة التي تعيشها بعد فقدان من معها جميعًا الّذي يحتويه لهدم وجع الحاضر المتمثل بـ» تفصح عن يتيمة ماتت» نحو المجهول المتمثّل بموتها معنويًا بعد موت من كان معها، لذا كان الحدث له وجود نفسي وأثر بالغ بدلالة همزة الاستفهام المنبعثة من فم أحد القتلة «ماذا يفعل أطفال المسيح بن مريم بين هؤلاء؟» الّتي تنتج عبر هذا التنافذ الزمني مفارقة زمنية تتداخل صوتياً مع بنية الضياع والتشتت بدلالة» لم أستطع أن نطق ببنت شفة»، ثمَّ يتبعها تقرير المصير بدلالة «اعلمي نفسك ميتة حتى تبزغ شمس الصباحَ» المؤكّدة بفعل الأمر كجواب مصيري بعدم البقا على قيد الحياة، الّتي كسرت أفق التوقع المرتكز بؤرياً في دالة صورية كليّة توحي بعدم بقائها ولو معنويًا بدلالة» منذ أن فقدت كل من حولها في هذا العالم»، فالبؤرة الروائية في النّص ترتكز على التفكير الإنساني سواء أكان إنساناً اعتيادياً، أم شاعراً، أم مفكّراً، أو مناضلاً بوصفه مفصل التغير والبحث والتطوير الّذي يأخذ منه مأخذ استلابي « في هذا العالم المهيع «، ولعلّ دخول الدوال الروائية في فاعلية زمن المستقبل أخذت على عاتق الكاتبة الاستمرار والصيرورة في عملية التمثيل الصوري المتراكم لصورة الضياع والتشتت واليتم لتنتج نتيجة حتمية بدلالة» كأنّه فضاء لا يجذب بعضه بعضا»، الذي تجلّى فيها محور الضياع والحرمان التي تمركزت في عرضها بدلالة((خرجتُ من تلك البساتين حتى وصلتُ نهرًا يفصلُ بين تلك البساتين وبعض البيوتات البسيطة، كنتُ ملطخة بالدماء أشعثة الشعر كأنّي هاربة من عالم الموتى الذين فزعوا من شدة العذاب وهول السياط تلاحقهم، توقفتُ فجأة وأنا أرى صورتي في الماء، وقلت في نفسي: من هذه التي لا تشبه ملامحي، لعلّ روحي قد انسلخت من جسدي وأصبحت هكذا؟! ثمّ همتُ

بشرب الماء فلم أستطع، فقد تذكرتُ أمي ومن معها كيف سيكون مصيرهم، وهل استيقظت أمي إلى الحياة وأخذت تبحث عني، ربّما جاء المسيح؛ لينفخ في روحها حياة جديدة بإذن الله، ليتها تستيقظ...)) (كاظم، ص١٣-١٤)، اجتمعت الأنساق اللفظية لتعبّر عن مأساة الكاتبة وصورتها التغريبية والمشتتة، فهي تعيش زمن الذكريات المؤلمة للوصول بالقارئ إلى صورة المستقبل في لقاء والدتها إن كانت على قيد الحياة، بدلالة الاستفهام « هل استيقظت أمي إلى الحياة وأخذت تبحث عني» إلا أنّ هذه الصورة سرعان ما تبدأ بالانحسار والتشظي وتلاشي الحزن المتراكم في فاعلية النسق اللفظي الزمني للحد من تحقيق الأماني لتلك اليتيمة في عودة والدتها إلى الحياة فتكسب الحدث أطر مغايرة توحي بالخيبة والخذلان بدلالة التمني» ليتها تستيقظ»، فأصبحت عودتها إلى الحياة حلم تتشابك فيه بؤرة الألم» كنتُ ملطخة بالدماء أشعثة الشعر كأنّي هاربة من عالم الموتى الذين فزعوا من شدة العذاب وهول السياط تلاحقهم « نحو الضياع الكلي لتشكيل فجوة قائمة تملأ فراغ الحاضر المربك بدلالة « وأنا أرى صورتي في الماء، وقلت في نفسي: من هذه التي لا تشبه ملامحي، لعلّ روحي قد انسلخت من جسدي وأصبحت هكذا؟!»، ضمن فضاء الدخول المستقبلي لتوقع ما لم يحصل «ربّما جاء المسيح لينفخ فيها» تتجه فيه الاستباقات نحو الموضوعية التامة لما سيقع في المستقبل بوصفها خاتمة نهائية وعلامة بارزة تتداخل في كسر أفق التوقع لما سيؤول من الأحداث الجارية في المستقبل بدلالة « كيف سيكون مصيرهم»، كونتها استباقات زمنية على ما سيرى في المستقبل، بقولها: ((لم يفهم شيئًا ذلك الفلاح عن سرّ هذه الورقة ولا حتى زوجه، سألتهم عن أحد يجيد القراءة في قريتهم، فقال لي الفلاح: سآخذك إلى معلم مدرستنا في القرية، فهو الوحيد الذي سيقرأها لكِ إن شاء الله)) (كاظم، ص ١٦)، فنلحظ أنَّ شخصيّة المعلم المستقبليّة

كان لها وجود نفسي وأثر بالغ في فك شفيرات تلك الرسالة التي كانت في طيّ الكتمان، والتي كانت تتناغم مع تجربة الكاتبة ومعاناتها النّفسية، إذ جعلت مفردات الزَّمن تتأرجح بين ثلاثيّة الزّمن «الماضي، والحاضر، والمستقبل»، إذ أخذت بعداً زمنيّاً تحدّدت فيه ملامحها الوقتيّة عن طريق السيّاق الشّعري الّذي جاءت فيه ، ففي البيت الأوّل وردت دلالة الماضي بقوله « قال لي» لنقف بعدها على ثنائيّة بين «يفهم/ يجيد» وضمن هذه الثنائيّة تتلاشى دلالة الزمن، إذ يصبح زمن الحضور هو نفسه زمن الغياب بدلالة « يجيد القراءة في قريتهم» ،ليأتي المستقبل بدلالة سين الاستقبال « سآخذك إلى معلم مدرستنا في القرية، فهو الوحيد الذي سيقرأها لكِ إن شاء الله « فرؤية الفلاح ساعدت في دفع إضاءة المستقبل تجلّت في الكشف عن رؤية مستقبلية لمصير تلك الطفلة عن طريق ذلك المعلم الذي سيحلُّ لغز تلك الرسالة المبهمة.

٣- الاستباق المزجي

وتجدر بنا الإشارة إلى إنَّ الاستباق تقنيّة تجيء في بنية الرّواية التّقليدية على وجه الخصوص،((فينقل عنصر التّشويق والمفاجأة لدى القارئ حتّى يعلن الرّاوي التّقليدي عن الأحداث اللّاحقة قبل وقوعها)). (يوسف، ص٨١)

وخلاصة للمفارقات الزمنية نقول: لا ريب في أنَّ هذه المفارقات بتنوعها واختلاف أشكالها ما بين استرجاع داخلي وخارجي وبين استباق داخلي وآخر خارجي، أنّها تكسر الطّابع النّمطي للسّرد وتعفى القارئ من استمرار السّير في طريق وحيد الاتّجاه، ممّا يضفي على الحكايّة أيضاً التّنوع والتّلوين وتبدّد الشّعور بالملل والرّتابة.

ولإضاءة الاستباق المزجي في رواية شمعة قول الكاتبة: ((هذه الطفلة عثرنا

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الاول , السنة الاولى , الملحق (٢)

عليها في البستان كانت ضائعة، وكانت معها ورقة ولا نعرف القراءة أو الكتابة كما تعلم حتى نستطيع قراءتها، قلت لها: سآخذكِ إلى الأستاذ عبد الله كي يساعدنا في قراءتها)) (كاظم، ص١٦)، تضمّن النّص دوالاً لسانيّة فعليّة كثيفة، جسّدت الاستباقات المزجيّة وفق علاقاتها الزمكانيّة، وهيمنة الفعل المضارع تعكس الحركة الزّمنية المستمرّة المتوازيّة مع الحركة المكانيّة المستمرة، إذ اتّخذت طريقها الدّلالي نحو سرد في زمن الحاضر بنحوٍ تراكمي بقوله «تعلم/ نستطيع/ يساعدنا»، لكن سرعان ما تنتقل إلى زمن المستقبل أكّده حرف «السين»؛ بوصفه وسيلة الكاتبة في الانتقال الزّمني، فالنّص الأول تمثّل «زمن الحاضر»، إذ تستمر صيغ الإعلان الموجهة للكاتبة نحو استباق الأحداث بقوله سآخذكِ وسرعان ما تعود الدّوال النصية لنسج دلالتها في زمن الحاضر بـ» كي يساعدنا في قراءتهاُ»، تبدأ الكاتبة بكسر أفق التّوقع الزّمني بعمليّة القفز الزّمني الفجائي من ملامح الحاضر إلى مستقبل مبهم من دون أن يحدد دلالة هذا الزّمن لتؤدي الاستباقات المزجيّة وظيفتها الختاميّة داخل النّص الروائي، وعليه نجد أنّ هذا الزمن قد ارتبط بالأحداث المتعلقة بمصير تلك الطفلة المجهولة الهويّة.

الخاتمة

بعدَ هذه الجولة مع تقنيات الزّمن في رواية شمعة واستكناه أثرها ، لا بُدّ لي أن أُوجز القول في قضيّة الزمن فيها، فأقول إنَّ الرواية كانت عبارة عن شبكة من العلاقات الزَّمنية الّتي تتداخل فيها الأزمنة الثلاثة «الماضي، الحاضر، المستقبل»، فتنتقل بينها الكاتبة ولا تستقرّ على زمن معين، ولا مراء في أنَّ هذه المفارقات بتنوعها واختلاف أشكالها ما بين استرجاع داخلي، وخارجي، وبين استباق داخلي، وآخر خارجي، أنّها تكسر الطّابع النّمطي للسّرد وتعفى القارئ من استمرار السّير في طريق وحيد الاتّجاه

، ممّا يضفي على الحكايّة أيضاً التّنوع والتّلوين، وتبدّد الشّعور بالملل والرّتابة، ممّا أدَّت دورًا هامّا في بنية النّص، وأعطت صيرورة إبداعية ، وأضفت جمالية على الرواية.

ثبت المظان

- القرآن الكريم

أولاً: الكتب

١. ألف ليلة وليلة وسحر السّردية العربيّة، داود سلمان الشويلي، الناشر: اتّحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠٠م.

٢. إيقاع الزمن في الرّواية العربيّة المعاصرة، أحمد حمد النعيمي، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، عمان- الأردن، ٢٠٠٤م.

٣. بناء الرّواية دراسة مقارنة في ثلاثيّة نجيب محفوظ، د. سيزا قاسم، الناشر: الهيئة العامّة للكتاب، ط١، القاهرة،٢٠٠٤م.

٤. البناء السّردي في روايات إليّاس خوري، عالية محمود صالح، الناشر: دار الأزمة ، ط١، عمان، ٢٠٠٥م.

٥. بنيّة الخطاب الرّوائي في رواية نجيب الكيلاني، الشريف حبيلة، الناشر: عالم الكتب الحديث، د.ط، الأردن، ٢٠١٠م.

٦. البنيّة السّردية عند الطّيب صالح، عمر عاشور، الناشر: دار هومة للطّباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٠م.

٧. البنيّة السّردية عند الطّيب صالح، عمر عاشور، الناشر: دار هومة للطّباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٠م.

٨. بنية الشّكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، حسن بحراوي، الناشر: المركز الثقافي العربي،ط١، ١٩٩٠م.

٩.تحليل الخطاب الرّوائي(الزّمن، السّرد، التبئير)، سعيد يقطين، الناشر: المركز الثّقافي العربي، ط١، الدّار البيضاء، ١٩٩٧م.

١٠.تقنيّات السّرد في النظرية والتطبيق، د.آمنة يوسف، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٥م.

١١.جمهرة اللغُّة، ابن دريد، تحقيق: مزي منير بعلبكي، الناشر: مكتبة المنسي، بغداد، د.ت.

١٢.خطاب الحكاية، جيرار جنيت، ترجمة: محمّد معتصم، عبد الجليل الأسدي، عمر الحلي، الناشر: منشورات الاختلاف، الجزائر،ط٢، ١٩٩٧م.

١٣.الذّاكرة، جان كلوفيو، ترجمة: جورج يونس، الناشر: المنشورات العربيّة، بيروت، ١٩٢١م.

١٤.الزّمن التّراجيدي في الرّواية المعاصرة، سعد عبد العزيز، الناشر: المطبعة الفنيّة الحديثة، د.ط، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٥.الزّمن في الرّواية العربية، مها حسن القصراوي، الناشر: دار الفارس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م.

١٦.الزّمن والرّواية، ترجمة: بكر عبّاس، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر،ط١، بيروت، ١٩٩٧م.

١٧.السّردية العربيّة، عبد الله إبراهيم، الناشر: المركز الثقافي العربي، د.ط، بيروت، ١٩٩٢م.

١٨.شمعة، مروة محمد كاظم، الناشر: دار الوارث للطباعة والنشر، ط١، ١٤٤١ه-٢٠١٩م.

١٩.فنُّ الخطاب القصصي: من التقليد إلى التجريب : القصة اليمنية أنموذجا، إبراهيم أبو طالب، الناشر: دار غيداء للطباعة والنشر، ط١،عمان – الأردن، ١٤٣٨ه- ٢٠١٧م.

٢٠.في نظريّة الرّواية، عبد المالك مرتاض، الناشر: دار المعرفة، ط١، الكويت، ١٩٩٨م.

٢١.القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، بيروت- لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٢.لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت ،٢٠٠٤م.

٢٣.ما لا يتبقى للإنسان، عبد الأمير المجر، الناشر: دار الشؤون الثقافية، ط١، بغداد، ٢٠١٥م.

٢٤.مدخل إلى نظريّة القصّة، جميل شاكر، سمير المرزوقي، الناشر: الدّار التونسيّة، ط١، ١٩٨٦م.

٢٥.مستويات دراسة النّص الرّوائي، د. عبد العالي بو طيّب، الناشر: مطبعة الأمنيّة، دمشق، ١٩٩٩م.

٢٦.المصطلح السردي، جيرالد برنس، تحقيق: عابد خزندار، محمد بريري، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، ط١، مصر، ٢٠٠٣م.

٢٧.المصطلحات الادبيّة الحديثة، محمّد عناني، الناشر: الشّركة المصريّة العامّة، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٢٨.معجم الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، دار صادر، ط٣، بيروت ،٢٠٠٤م.

٢٩.معجم مقاييس اللُّغة، أحمد بن فارِس بن زكريّا، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر : اتحاد الكتاب العرب، ط١٤٢٣،١ه- ٢٠٠٢م..

٣٠.مفهوم الزّمن ودلالاته في الرؤية العربيّة المعاصرة، الناشر: الدّار العربيّة للكتاب،ط١، ١٩٨٨م.

٣١.النّزوع الأسطوري في الرّواية العربيّة المعاصرة ،نضال الصالح، الناشر: اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

ثانيا: الرسائل والأطاريح

١. البنيّة السردية في أعمال هاشم غرايبة الرّوائية، منال عواد مفلح، رسالة ماجيستير، جامعة آل البيت، ٢٠١١م.

٢. الرؤية والبنيّة في روايات الطّاهر وطّار، إدريس بوديبة، رسالة ماجيستير، جامعة منتوري، ٢٠٠٠م.

٣. الشّعرية عند محمّد بنسيس، أوبيرة هدى، رسالة ماجيستير، جامعة ورقلة، الجزائر، ٢٠١١- ٢٠١٢م.

٤. المفارقات الزمنية في رواية أربعون عامًا في انتظار إيزابيل لـ « سعيد خطيبي»، لعموري أميرة- لوصيف منال، رسالة ماجستير، جامعة أكلي محند أولحاج- كلية الآداب، ٢٠١٨م.

ثالثًا: المجلّات والدوريات

١. بنية الزمن في قصص ما لا يتبقى للنسيان لـ»عبد الأمير، أ.د فرحان بدري الحربي، هند كامل عبيد، مجلّة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد٤، ٢٠١٩م.

٢. الزَّمن في قصص علي الفهادي دراسة تحليليّة، د. نبهان حسون السّعدي، مجلّة دراسات موصليّة، العدد ٢٨، الموصل، ١٤١٣ه-٢٠١٠م.